تطريز

شرح دعاء قنوت الوتر

تصنيف العلامة
محمد بن صالح العثيمين
المتوفى سنة (١٤٢١) رحمه الله تعالى



منقول من الشرح الصوتي لمعالي الشيخ الدكتور
صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي
عضو هيئة كبار العلماء والمدرس بالحرمين الشريفين
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى




بَرْنَامَجُ الدَّرْسِ الوَاحِدِ

السَّنَةُ السَّادِسَةُ ١٤٢٨

الكِتَابُ الرَّابِعُ









سلسلة شروح وتطريزات فضيلة الشيخ (٦٨)

تطريز شرح دعاء قنوت الوتر

تصنيف العلامة

محمد بن صالح العثيمين

المتوفى سنة (١٤٢١) رحمه الله تعالى

منقول من الشرح الصوتي لمعالي الشيخ الدكتور

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

عضو هيئة كبار العلماء والمدرس بالحرمين الشريفين

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين



النسخة الأولى




بسم الله الرحمن الرحيم

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛

يُرجىٰ المراسلة علىٰ البريد التالي: Abdellahdj24@gmail.com







الحمد لله ربِّنا، وأشهد ألَّا إلٰه إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله.

أمَّا بعدُ:

فهٰذا هو (**الدَّرس الرَّابع**) من (**برنامج الدَّرس الواحد السَّادس**)، والكتاب المقروءُ فيه هو «**شَرْحُ دُعَاءِ قُنُوتِ الوِتْرِ**»، للعلَّامة ابنِ عُثيمينَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ.

وقبل الشُّروع في إقرائه لا بدَّ من ذِكْر مُقدِّمتين اثنتين:









المُقَدِّمَةُ الأُولَى: التَّعْرِيفُ بِالمُصَنِّفِ

وتنتظم في ثلاثة مقاصدَ:

- **المقصد الأوَّل: جَرُّ نَسَبِه:**

هو الشَّيخ العلَّامة مُحمَّد بنُ صَالِح بنِ مُحمَّدٍ التَّميميُّ، يُكْنَىٰ بـ(أبي عبد الله)، ويُعرَفُ بـ(ابن عثيمينَ) نسبةً إلىٰ أحد أجداده، وبـ(علَّامة القصيم في زمانه).

- **المقصد الثَّاني: تاريخ مولده:**

وُلِدَ في السَّابعِ والعشرينَ، مِن شهرِ رمضانَ، سنَة سبعٍ وأربعينَ بعد الثَّلاثمائةِ والألْف (١٣٤٧).

- **المقصد الثَّالث: تاريخ وفاتِه:**

تُوفِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الخامس عشر مِن شهرِ شوَّالٍ، سنَة إحدَىٰ وعشرينَ بعد الأربعمائةِ والألف (١٤٢١)، وله مِنَ العُمُرِ أربعٌ وسبعونَ سنَةً، رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمةً واسعةً.









المُقَدِّمَةُ الثَّانِيةُ: التَّعْرِيفُ بِالمُصَنِّفِ

وتنتظمُ في ثلاثة مقاصدَ أيضًا:

- **المقصد الأوَّل**: تحقيق عنوانِه:

طُبِعت هذه الرِّسالةُ اللَّطيفة في حياة صاحبِها باسمِ: «شَرْحُ دُعَاءِ قُنُوتِ الوِتْرِ».

- **المقصد الثَّاني**: بيان موضوعه:

موضوع هذه الرِّسالة هو إيضاح المبانِي وكشفُ المعانِي الَّتي وردت في دعاء قنوت الوِتْرِ المَرويِّ عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وسيأتِي ذِكرُ هذا الدُّعاء في أوَّل الرِّسالةِ.

- **المقصد الثَّالث**: توضيحُ منهجه:

عمَدَ المصنِّف رَحِمَهُٱللَّهُ تعالىٰ بعد ذكر سياق الحديث إلىٰ تفصيلِه جملةً جملةً، وبيانِ معنىٰ كُلِّ جملةٍ علىٰ وجهِ الإفراد، وقد ظهر بجلاءٍ فِي هذا الشَّرحِ عِنايتُهُ بإيضاح عقيدةِ أهل السُّنَّة والجماعة، وكمالُ معرفتِه بِها؛ فانطوَتْ كثيرٌ مِن الجُمَل فِي الإيضاح والبيان علىٰ قواعدَ عِدَّةٍ تتعلَّق بالمعتقد الصَّحيح.








قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:



الحَدِيثُ

ورد في «مسند الإمام أحمدَ» عَنِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قُنُوتِ الوِتْرِ: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ**».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُٱللَّهُ تعالىٰ صَدْرَ هذا الكتابِ الحديثَ الواردَ فِي دعاء قنوت الوتر عن النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وهذا الحديثُ فِي أصلِه صحيحٌ، فقد ثبتَ عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تعليمَه الحسنَ هؤلاءِ الكلماتِ أن يدعوَ بِهنَّ، إلَّا أنَّ الرُّواة اختلفوا في جملة: (فِي قُنُوتِ الوِتْرِ)، فمنهم مَن ذكرها، ومنهم مَن أسقطها.

والمحفوظ: أنَّ هذا مِن الدُّعاء العامِّ، وأنَّ زيادةَ (فِي قُنُوتِ الـوِتْرِ) شـاذَّةٌ؛ كمـا ذهـب إليه بعض الحُفَّاظ ومنهم الدَّراقُطنِيُّ في «العلل».

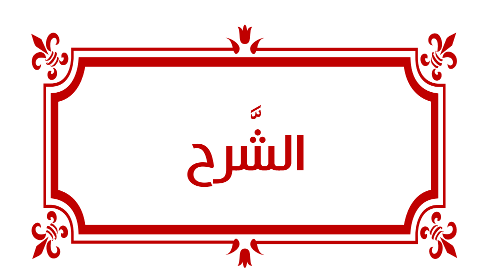
فالحديثُ المحفوظُ: (عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ)، دونَ تقييد ذلك القولِ بـ(قنوت الوِتر).

وإذا قالها الإنسان في قنوت الوِتر كان ذلك مشروعًا بالإجماعِ؛ لأنَّها مِن جملة الدُّعاء الثَّابت عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

على أنَّ **قنوتَ الـوتر لا يُحفَـظُ فيه حـديثٌ عـن النَّبـيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، كما ذهب إليه جماعةٌ مِن الحُفَّاظِ منهم أبو بكر ابنُ خُزَيْمَةَ، وإنَّما ثبت هذا عـن الصَّحابـة - رضـوان الله عنهم - فَمَنْ بعدَهم مِن التَّابعين وأتباع التَّابعين، فهذه الآثار دالَّةٌ علىٰ أنَّ الوِترَ محلٌّ للدُّعاء فيه، وذلك حالَ القنوتِ.



قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:



«**اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ**»؛ أي دُلَّنا على الحقِّ ووفِّقْنَا للعمل به؛ وذلك لأنَّ الهداية التَّامَّة النَّافعةَ هي الَّتي يجمعُ الله فيها للعبد بين العلم والعمل؛ لأنَّ الهدايةَ بدون عملٍ لا تنفعُ، بل هي ضررٌ؛ لأنَّ الإنسان إذا لم يعملْ بما علمَ صار علمُه وبالًا عليه.

مثالُ الهدايةِ العلميَّة بدون العمل: قولُه تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]؛ أي بَيَّنَّا لهم الطَّريقَ وأبلغناهم العلمَ، ولكنَّهم - والعياذ بالله - استحبُّوا العَمَى على الهدى.

ومِن ذلك أيضًا من الهداية الَّتي هي العلمُ وبيان الحقِّ: قولُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للنَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشُّورى]؛ أي تدلُّ وتُبيِّنُ وتُعلِّمُ النَّاسَ الصِّراطَ المستقيمَ.

وأمَّا الهدايةُ الَّتي بمعنى التَّوفيق: فمثلُ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، هذه هداية التَّوفيق للعمل، فالرَّسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يستطيعُ أن يُوفِّقَ أحدًا للعمل الصَّالح أبدًا، ولو كان يستطيعُ ذلك لَاستطاعَ أن يَهْدِي عمَّه أبَا طالبٍ، وقد حاول معه حتَّى قال له عند وفاته - أي قال لعمِّه عند وفاة عمِّه -: «**يَا عَمُّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»، ولكن قد سبقتْ من الله عَزَّوَجَلَّ الكلمةُ بأنَّه من أهل

النَّار - والعياذ بالله - فلم يقلْ: «لا إله إلَّا الله»، وكان آخرَ ما قال: «هو على مِلَّةِ عبد المطَّلب»، لكنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أذن لرسولِه صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يشفعَ له، لا لأنَّه عمُّه، لكن لأنَّه قام بالدِّفاع عن النَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وعن الإسلام، فشفع النَّبيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في عمِّه فكان في ضَحْضَاحٍ مِن نارٍ وعليه نَعلان مِن نارٍ يَغْلِي منهما دماغُه، وإنَّه لَأهونُ أهل النَّار عذابًا، قال النَّبيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**».

فإذا قلْنا في دعاء القنوتِ: «**اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ**» فإنَّنا نسألُ الهدايتين: هداية العلم، وهداية العملِ، كما أنَّ قولَه تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾ [الفاتحة] يشمل الهدايتين: هدايةَ العلم، وهدايةَ العمل، فينبغي للقارئ أن يستحضر أنَّه يسأل الهدايتين: هداية العلم، وهدايةَ العملِ.

وقوله: «**فِيمَنْ هَدَيْتَ**» هذه مِن باب التَّوسُّلِ بإنعام الله تعالى على مَن هداه، أن يُنْعِم علينا نحن أيضًا بالهداية، ويعني: أنَّنا نسألُك الهداية، فإنَّ ذلك مِن مقتضى رحمتك وحكمتِكَ ومِن سابقِ فضلِك، فإنَّك قد هديتَ أُنَاسًا آخرين.

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

بيَّن المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ فيما سلفَ إيضاحَ الجملةِ الأولىٰ مِنَ الحديثِ، وهي قولُ الدَّاعي: (**«اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ»**)، فذكرَ أنَّ الدَّاعي إذا دعا بِهذا الدُّعاء فإنَّه ينتظمُ في دُعائه سُؤالٌ وتوسُّلٌ.

فأمَّا السُّؤالُ: ففي قولِه: (**«اللَّهُمَّ اهْدِنَا»**)؛ فإنَّه يَسألُ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يهديَه.

والهدايةُ المسؤولةُ هنا هي الهداية التَّامَّة النَّافعةُ، **ولا تكون الهدايةُ تامَّةً نافعةً حتَّىٰ**

تجمع نوعين اثنين:

- **أَحَدُهُمَا**: هدايةُ العلمِ.
- **والآخَرُ**: هدايةُ العملِ.

أمَّا إذا وُفِّقَ الإنسانُ إلىٰ علمٍ بلا عملٍ، أو رُزِقَ عَمَلًا بلا علمٍ؛ فإنَّه لا يكون مهديًّا، بل هذا حال الضُّلَّال والمغضوبِ عليهم من اليهود والنَّصارىٰ، وإنَّما يكون العبدُ مُهتديًا إذا رزقه الله الهدايةَ فِي العلم والعمل جميعًا، وهذه حالُ كُمَّلِ النَّاس مِن عبادِ اللهِ المُخْلَصِين.

وهاتان الهدايتان - وهما هداية العلم والعمل - هي الَّتي جاءَ بِها النَّبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما قال تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾ [التَّوبة:٣٣]، فإنَّ (الهدىٰ) إشارةٌ إلىٰ العلم النَّافع، و(دين الحقِّ) إشارةٌ إلىٰ العمل الصَّالح، فالهدايتان مُنتَظِمَتان فيما جاء به النَّبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأمَّا الأمر المُتوسَّلُ به: فهو توسُّلُ العبدِ إلىٰ ربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بتفضُّله وإنعامِه علىٰ مَن هدىٰ، فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يهدي مَن يشاءُ مِن خَلْقِه، فمِن صفاتِه سبحانه هدايتُهُ للخلقِ، فالعبد يَتوسَّلُ إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما يقدِرُ عليه عَزَّوَجَلَّ من الهدايةِ - وهي بيده وأمرِه - أن يجعلَه مِن أولئك المَهدِيِّين.

ومِن النُّكت اللَّطيفة في هذا الحديث: أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَّا أرشدَ الحسنَ بنَ عليٍّ إلىٰ الدُّعاء، ابتدأه بأمرٍ جامعٍ، فأرشده إلىٰ سؤال الهداية؛ لأنَّ العبدَ إذا هُدِي حصلَ له كُلُّ خيرٍ في الدُّنيا والآخرة، وإذا ضلَّ حصل له كُلُّ شرٍّ في الدُّنيا والآخرة.

ولذلك فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ردَّ سورةَ الفاتحة إلىٰ آيتين منها، هما لُبُّها وجَوْهَرُهَا:

إِحْدَاهُمَا: قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة].

والأُخْرَىٰ: قوله تعالىٰ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة].

فالأُولىٰ: إخبارٌ عمَّا يجبُ علىٰ العبد في توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والآيةُ الثَّانية: إخبارٌ عمَّا يحسُنُ بالعبدِ طلبُه، وهو سؤالُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الهدايةَ.

ولذلك فإنَّ هذه السُّورة - وهي سورة الفاتحةِ - الَّتي هي أصلُ القرآن، بل هي أصلُ الكُتُب المُنَزَّلة كما جاء ذلك عن الحسن البصريِّ، وبَسَطَه ابنُ القيِّم في كتاب «مدارج السَّالكين» = أصلُ السُّؤال فيها هو سُؤال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الهدايةَ، وهذا يُنْبِئُ عن عظيمِ مرتبتِها، وعُلُوِّ منزلتها، إذْ يُكرِّرُ العبدُ في صلواتِه كُلِّهَا قولَه: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة].



قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَعَافِنَا فِيمَنْ عَافَيْتَ»: عافنا مِن أمراض القلوب وأمراض الأبدان.

وينبغي لـك يـا أخـي أن تستحضـرَ وأنـت تـدعو: أنَّ الله يعافيـك مِـن أمـراض البـدن، وأمراض القلبِ؛ لأنَّ أمراض القلـب أعظمُ مـن أمـراض البـدنِ، ولـذلك نقـول في دعـاء القنوت: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا».

أمراض الأبدان معروفةٌ، لكنَّ أمراضَ القلوبِ تعود إلىٰ شيئين:

الأوَّل: أمراض الشَّهوات الَّتي مَنشؤُها الهوىٰ.

الثَّاني: أمراض الشُّبهاتِ الَّتي مَنشؤُها الجهل.

فالأوَّل: أمـراض الشَّـهوات الَّتـي منشـؤها الهـوىٰ، أن يعـرف الإنسـان الحـقَّ، لكـن لا يريدُه؛ لأنَّ له هوًىٰ مُخالِفًا لِمَا جاء به النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

والثَّاني: أمراض الشُّبهات الَّتي مَنشؤُها الجهل؛ لأنَّ الجاهلَ يفعلُ الباطل يظنُّه حقًّـا، وهذا مرضٌ خطيرٌ جدًّا.

فأنتَ تسألُ الله المعافاةَ والعافية مِن أمراض الأبدان، ومن أمراض القلوب، الَّتي هـي أمراض الشُّبهات، وأمراض الشَّهوات.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُٱللَّهُ تعالىٰ هنا بيان الجملة الثَّانيـة مـن الـدُّعاء، وهـي قـولُ الـدَّاعي: («وَعَافِنَا فِيمَنْ عَافَيْتَ»).

وقد جمعتِ الشَّريعةُ في غير حديثٍ بين سؤالِ العفو والعافية؛ **لأنَّ العبد بين حالين:**

- **إحداهُمَا:** حالٌ انقضىٰ منها وفاتَتْ عليه.
- **والأُخْرَىٰ:** حالٌ هو فيها ويَستقبِلُ ما بعدها.

فهو مُفتقِرٌ في الحال الَّتي سَلَفَتْ إلىٰ عفوِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومُفتقِرٌ في الحالِ الباقية إلىٰ العافيةِ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فإذا دعا الدَّاعي ربَّه فقال: (اللَّهُمَّ إنِّي أسألك العفوَ)؛ تعلَّق هذا بما مضىٰ.

وإذا قال: (وأسألك العافية)؛ تعلَّق هذا بما بقي ممَّا هو حاضِرٌ فيه أو مستقبِلٌ له.

فلذلك ما أُعطي العبدُ مِن الدُّعاء كما أُعطِيَ في سؤالِ العفوِ والعافيةِ.

وأُرشِدَ العبدُ إلىٰ تكرار الدُّعاء به في طَرفَي النَّهار صباحًا ومساءً، إذْ يقول في دُعائِهِ إذا أصبحَ وإذا أمسىٰ: (اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ العفوَ والعافيةَ في الدُّنيا والآخرة، اللَّهُمَّ إنِّي أسألُك العفو والعافية في ديني ودنياي...) إلىٰ آخر الذِّكر المعروف الثَّابتِ عن النَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وجاء الحديثُ هنا مقتصِرًا في الدُّعاء علىٰ العافيةِ؛ لأنَّ مناسبَةَ الجُمَل تقتضي ذلك، فإنَّ الجُمَل كُلَّها يُرادُ بِها فيما يُسْتَقبل؛ («اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ»): فيمَا نتقدَّمُهُ مِن أحوالنا، («وَعَافِنَا فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ»).

وقد بيَّن المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ أنَّ العافيةَ المسؤولةَ تجمعُ طلبَ السَّلامة (من أمراض القلوبِ وأمراض الأبدان)؛ **لأنَّ العبدَ تَعْتَوِرُه نوعان من الأمراض:**

- **أَحَدُهُمَا:** أمراضٌ بدنيَّةٌ حِسِّيَّةٌ.
- **والآخَرُ:** أمراضٌ قلبيَّةٌ رَوْحانيَّةٌ.

وهذه الأمراض أشدُّها الأمراض القَلبيَّةُ؛ لأنَّ الأمراض الحسِّيَّة قد يَصبِرُ العبد عليها، ولكنَّ الأمراض القلبيَّة قد لا يَصبِر العبدُ عليها، ورُبَّما انسلخَ الإنسانُ بمرضِ شهوةٍ أو شبهةٍ من الإسلام إلىٰ الكفرِ، وقلَّ أن ينسلخَ الإنسانُ بسبب مرضِ بدنٍ من الإسلام إلىٰ الكفر.

وقد ذكر المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ أنَّ **أمراض القلوب نوعان**:

- **أَحَدُهُمَا**: (أمراضُ الشَّهوات الَّتي مَنشؤُها الهوىٰ).
- **والثَّانِي**: (أمراضُ الشُّبهاتِ الَّتي مَنشؤُها الجهلُ).

وإذا كانتْ أمراضُ الشَّهواتِ يحمِلُ عليها الهوىٰ؛ فإنَّها تُدْفَعُ بالصَّبْر، وإذا كانت أمراضُ الشُّبهات يحمل عليها الجهل؛ فإنَّه يَدْفَعُهَا العلمُ، ولذلك فإنَّ العبدَ إذا رُزِق العلمَ اندفعتْ عنه أمراضُ الشُّبهاتِ، وإذا رُزِق الصَّبْرَ اندفعتْ عنه أمراض الشَّهوات.

والعلمُ يُشَارُ إليه في الخطاب القرآنِيِّ كثيرًا بـ(اليقين)؛ لأنَّ أنفعَ العلم هو العلمُ الرَّاكد الثَّابتُ، **واليقين** أصلٌ دالٌّ علىٰ الثَّبات؛ كما يُقَال: يَقِنَتْ نفسُ فلانٍ؛ يعني استقرَّت روحُه بعد موتِه، وسُمِّيَ الموتُ (يقينًا)؛ لأنَّ نفس الميِّتِ تَسْكُنُ، ولهذا قال الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في سورة السَّجدةِ: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ ﴾ [السَّجدة]، إذْ بصبْرِهِم دفعوا أمراض الشَّهوات، ﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤﴾ [السَّجدة]، إذْ بيقِينِهم دفعوا أمراضَ الشُّبهات.

ومن هنا قال جماعةٌ مِن أهل العلم - منهم شيخ الإسلام ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ -: (بالصَّبْر واليقين؛ تُنالُ الإمامةُ في الدِّين)؛ **لأنَّ العبد لا يُقيِّدُه عن الإمامة إلَّا الذُّنوب**؛ فكما أنَّ القيودَ تثقلُ بالإنسانِ عن نفسِه وسعيِه إذا وُضِعت في يديهِ ورجليهِ؛ فكذلك

الذُّنوبُ إذا أثقلتْ قلبَهُ قيَّدَتْه، وهذه الذُّنوب إمَّا أن تكون ناشِئةً مِن شهوةٍ فتُدفَع بصبْرٍ، وإمَّا أن تكون قد حملَ عليها الشُّبهة فيَدفعها العلم واليقينُ.



قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وقولنا: «وَتَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ»؛ أي كُنْ ولِيًّا لنا.

والوِلاية نوعان: عامَّةٌ وخاصَّةٌ.

فالوِلاية الخاصَّة: للمؤمنين خاصَّةً، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، فتسأل الله تعالىٰ الوَلاية الخاصَّة الَّتي تقتضي العنايةَ بمن تولَّاه الله عَزَّوَجَلَّ والتَّوفيق لما يُحِبُّه ويرضاه.

أمَّا الوِلاية العامَّة: فهي تشمل كُلَّ أحدٍ، فالله وليُّ كُلِّ أحدٍ، كما قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام]، وهذا عامٌّ لكُلِّ أحدٍ، ثُمَّ قال: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢].

لكن عندما نقول: (اللَّهُمَّ اجعلنا من أوليائك)، أو (اللَّهُمَّ تولَّنا)، فإنَّنا نُريد بِها الوِلاية الخاصَّة، وهي تقتضي العناية والتَّوفيقَ لما يُحِبُّه ويرضاه.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكَر المصنِّف رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى في هذه الجملة بيانَ قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: («وَتَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ»)، وأنَّ معناها: (كُنْ يا) الله (وليًّا لنا).

والوِلاية المضافةُ إلىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ نوعان اثنان:

- **أَحَدُهُمَا**: وِلايتُه للمؤمنين.

- **والآخَرُ**: وِلايتُه للخلق أجمعين.

فأمَّا النَّوع الأوَّل - وهي وِلايةُ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ للمؤمنين -: فيُرادُ بِها التَّوفيق والنَّصر والتَّعزيزُ والتَّأييد.

وأمَّا النَّوع الثَّاني - وهو وِلايته للخلقِ أجمعين -: فهي كونُه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ربُّهُم ومالِكُهم ومتصرِّفُهم.

ولا ريبَ أنَّ العبدَ إذا دعا - ولا سيَّما إذا كان الدُّعاء صادرًا مِمَّن أُوتِيَ جوامعَ الكَلِمِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - فإنَّه لا يُريد وِلايةً يشارِكُه فيها الكافِرُ والفاجِرُ، وإنَّما يريد وِلايةً خاصَّةً، وهي وِلايةُ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ للمُؤمنين بتأييدهم ونُصرتِهم وتثبيتهم وتوفيقهم لمَحَابِّهِ ومراضيه، ولذلك فإنَّ الدَّاعي إذا دعا بمثل هذا كقولِه: (اللَّهُمَّ اجعلنا من أوليائك)؛ فإنَّما يُلاحِظ هذ المعنىٰ الخاصَّ الَّذي هو مِن أعظم المطالب.



قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وقولُنا: «**وَبَارِكْ لَنَا فِيمَا أَعْطَيْتَ**»: البَـرَكَةُ هي الخير الكثيرُ الثَّابتُ، ويُعيدُ العلماءُ ذلك إلىٰ اشتقاقِ هذه الكلِمَةِ؛ فإنَّها مِنَ (البِرْكَةِ) - بكسر الباء -، وهي مَجْمَعُ الماءِ، فهي شيءٌ واسعٌ ماؤُه كثيرٌ ثابِتٌ، فالبَـرَكَة هي الخيرات الكثيرة الثَّابتة، والمعنىٰ: أي أنزِلْ لي البَركةَ فيما أعطيتَنِي.

«**فِيمَا أَعْطَيْتَ**»؛ أي أعطيتَ مِنَ المال والولَدِ والعلمِ وغيرِ ذلك ممَّا أعطىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، فتَسألُ الله البَركةَ فيه؛ لأنَّ الله إذا لم يُبارِكْ لك فيما أعطاكَ حُرِمْتَ خيرًا كثيرًا.

ما أكثر النَّاس الَّذين عندهم مالٌ كثيرٌ، لكنَّهم في عِداد الفقراء! لأنَّهم لا ينتفعون بمالِهم، يجمعونه ولا ينتفعون به، وهذا مِن نزْعِ البركةِ، كثيرٌ مِن النَّاس عنده أولادٌ، لكنَّ أولادَه لا ينفعونه؛ لما فيهم من عقوقٍ، وهؤلاء لم يُبَارِكْ لهم في أولادهم.

تجد بعض النَّاس أعطاه الله عِلْمًا كثيرًا، لكنَّه بمنزلَةِ الأُمِّيِّ، لا يظهرُ أثَرُ العلمِ عليه في عبادتِه، ولا فِي أخلاقِه، ولا فِي سلوكِه، ولا في معاملتِه مع النَّاس، بل قد يُكْسِبه العلمُ استكبارًا علىٰ عباد الله، وعُلُوًّا عليهم، واحتقارًا لهم، وما عَلِمَ هذا أنَّ الَّذي منَّ عليه بالعلمِ هو اللهُ، تَجدُه لم ينتفعِ النَّاسُ بعلمِه، لا بتدريسٍ، ولا بتوجيهٍ، ولا بتأليفٍ، بل هو منحصِرٌ علىٰ نفسِه، وهذا بلا شَكٍّ حِرمَانٌ عظيمٌ، مع أنَّ العلمَ مِنْ أَبْرَكِ ما يُعطيه الله للعبدِ؛ لأنَّ العلمَ إذا علَّمْتَه غيرَك ونَشَرْتَه بينَ النَّاسِ أُجِرْتَ علىٰ ذلك مِن عِدَّةِ وجوهٍ:

الأَوَّل: أنَّ فِي نشرِكَ للعلم نشْرًا لِدينِ الله عَزَّوَجَلَّ، فتكونُ من المجاهدين في سبيل الله؛ لأنَّك تفتحُ القلوبَ بالعلمِ، كما يفتحُ المجاهدُ البلادَ بالسِّلاح والإيمان.

الثَّانِي: مِن بركة نشرِ العلمِ وتعليمِه أنَّ فيه حفظًا لشريعة الله عَزَّوَجَلَّ، وحمايةً لها؛ لأنَّه

لولا العلمُ لم تُحْفَظِ الشَّرِيعةُ.

الثَّالث: مِن بركةِ نشرِ العلمِ، أنَّك تُحْسِنُ إلىٰ هذا الَّذي علَّمْتَه؛ لأنَّك تُبَصِّرُهُ في دينِ الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا عبدَ الله علىٰ بصيرةٍ كان لكَ مثلُ أجرِه؛ لأنَّك أنتَ الَّذي دَلَلْتَه علىٰ الخير، والدَّالُّ علىٰ الخير كفاعلِه.

الرَّابع: أنَّ فِي نشرِ العلم وتعليمِه زيادةً له، فعلمُ العالِم يزيدُ إذا علَّمَ النَّاسَ؛ لأنَّه استذكارٌ لِمَا حَفِظَ وانفتاحٌ لِمَا لم يَحفظْ، كما قال القائل:

يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الإِنْفَاقِ مِنْهُ ... وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفًّا شَدَدْتَا

أي إذا أمسكتَهُ ولم تُعلِّمْه نقصَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذَكَر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى فيما سلف بيانَ معنَىٰ الجملة الرَّابعةِ من الدُّعاء، وهي قولُه: («**وَبَارِكْ لَنَا فِيمَا أَعْطَيْتَ**»)، فبيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أنَّ (البركةَ هي الخيرُ الكثير)، بناءً علىٰ الأصلِ الموضوعِ لهذا المعنىٰ في لسان العرب؛ وأنَّه مُشتَقٌّ من (البِرْكَةِ) الَّتي (هي مَجْمَعُ الماء)، (فالبَرَكَة هي الخيرات الكثيرة الثَّابتة)، فقولُ الدَّاعي: «**وَبَارِكْ لَنَا فِيمَا أَعْطَيْتَ**»؛ أي أنزِل علينا خيرًا كثيرًا مباركًا فيما أعطيتنا إيَّاه.

والعطاءُ الَّذي يُمْنَحُهُ العبدُ يتنوَّع إلىٰ أنواعٍ كثيرةٍ، مِن ذلك (المالُ، والولدُ، والعلمُ) - كما ذكر المُصنِّفُ، **وليستْ منفعةُ العطاء بكونِهِ في يدِ الإنسان، ولكنَّ منفعةَ العطاء بكونه مباركًا فيه**، ولذلك فإنَّ الإنسانَ لا يفرحُ بوصولِ المدَدِ والعَطاء إليه مِن مالٍ أو علمٍ أو ولدٍ؛ وإنَّما يَفرحُ إذا حلَّت فيه البركةُ، فإذا كان عِلْمُك مُبَارِكًا، وولدُكَ مباركًا،

ومَالُكَ مُباركًا؛ فعند ذلك حُقَّ لك أن تفرحَ، أمَّا مُجرَّدُ وجودِه في يدِك وجريانُ حُكْمِك عليه فهذا لا يُفْرَحُ به؛ فإنَّ الإنسانَ قد يكون له مالٌ فيَبْخَلُ بِهِ ولا يُنْفِقُه فِي وجوه الخير، ورُبَّما رُزِق ولدًا كان عاقًّا له لا ينتفع به أبدًا، ومِن النَّاس مَن يحصل له هذا في العلم؛ فيُرْزَقُ عِلْمًا لكن لا تظهر آثارُ ذلك العلم عليه، لا في خُلُقِه، ولا في نُسُكِه، بل يكون أجنبيًّا عن العلم في مظهرِه ومنطِقِه ومعاملتِه للنَّاس، ورُبَّما تكبَّر علىٰ النَّاس بذلك.

واستطردَ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى إلىٰ بيانِ أنَّ العلم مِن أشَدِّ الأشياءِ بركةً، والتَّعبيرُ عن (أفعل التَّفضيل) فِي هذا البناءِ بقول: (أَبْرَك) وهو الَّذي استعمله المُصنِّف في قوله: (مع أنَّ العلمَ مِن أبرَكِ ما يعيطه الله للعبد)؛ هذا لَحْنٌ، فهو خلافُ اللِّسانِ العربيِّ؛ فإنَّه لا يُفضَّلُ به علىٰ هذا؛ لأنَّ بناءَهُ ليس ثُلَاثيًّا، وإنَّما يُضاف إليه فعلٌ دالٌّ علىٰ التَّفضيل، فقولُ النَّاس: (أَبْرَك الأشياء كذا) أو (أبرك العلم كذا)؛ لَحْنٌ.

ثُمَّ بيَّنَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أنَّ العلمَ له بركةٌ بنشرِه بينَ النَّاس، **فذكر مِن وجوه بركتِه:**

أَوَّلُهَا: (أنَّ في نشر العلم نشرًا لدينِ الله، فيكون المُعلِّم مِن المجاهدين في سبيل الله؛ لأنَّك يفتح القلوب بالعلم كما يفتح المجاهدُ البلدَ بالسِّلاح والإيمان)، فلا ريبَ أنَّ الجهادَ فِي نشرِ العلم أشقُّ مِنَ الجهاد بمقاتلة الكفَّار؛ لأنَّ القائمَ به قليلٌ والمُسَاعد عليه نادرٌ؛ كما ذكر ابنُ القيِّم في «مفتاح دار السَّعادة».

ومِن محاسِنِ كلام مفتي الدِّيار الأسبق شيخنا ابن بازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى قولُه: (الحَيَاةُ في سَبِيلِ اللهِ أَصْعَبُ من المَوتِ في سَبِيلِ اللهِ).

وصدَق؛ فإنَّ الحياةَ فِي سبيلِ الله بنشر العلمِ، وتعليمِ الخيرِ، وتنبيهِ الغافلينَ، وهدايةِ الضالِّين؛ أشقُّ علىٰ النَّفس وأثقلُ مِن أن يخرجَ الإنسانُ إلىٰ ساحات الوغىٰ، فما هي إلَّا طلْقَةٌ حتَّىٰ يموتَ فِي سبيلِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا ريبَ أنَّ مَن عاش في سبيل الله وانتشر

علىٰ يدِه مِنَ الخير أكثرَ ممَّا يجري علىٰ أيدي هؤلاء؛ لا ريب أنَّه أرفعُ، ولذلك صارتْ وِرَاثةُ الأنبياءِ في العلماءِ، ولم يجعلْهَا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فِي المجاهدين بالسِّلاح.

ثُمَّ ذكرَ (مِن بركة نشر العلم أنَّ فيه حفظًا لشريعة الله عَزَّوَجَلَّ، وحمايةً لها)، فبِنَشْرِ العلم يُحفَظُ الشَّرعُ، وهذا هو نَسَقُ هذه الأُمَّة، والسَّمتُ الَّذي تحيا عليه؛ كما روىٰ أبو داودَ بإسنادٍ صحيحٍ مِن حديث ابن عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا؛ أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**تَسْمَعُونَ وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ، وَيُسْمَعُ مِمَّنْ سَمِعَ مِنْكُمْ**»، فهؤلاءِ هُمُ القَائِمُون بحفظ الدِّين بنشرِ العلم بإسماعه لمن يَخْلُفُهُم في قرون الأُمَّة.

ثُمَّ ذكر وجهًا ثالثًا (مِن بركة نشر العلم): وهو (أنَّك تُحْسِنُ إلىٰ من علَّمْتَهُ وتُبَصِّره بدين الله)، ويكون ما يعملُه مِنَ الخير فِي ميزانِ عملِك؛ لأنَّك أنتَ الَّذي دَلَلْتَهُ عليه، وقد قال الله تعالىٰ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص:٧٧]، وكثيرٌ مِنَ النَّاس لا يفهمُ مِن معنىٰ هذه الآية إلَّا الإحسانُ بالإنفاق بالمال، وأعظمُ مِن ذلك الإحسانُ إلىٰ النَّاس بما فيه صلاحِ قلوبِهم، وأصلُ ذلك ورأسُه هو نشرُ العلم، وبيانُ الشَّريعة، وإعلاءُ معالم المِلَّة الحنيفيَّة.

ثُمَّ ذكر وجهًا رابعًا من بركة العلم: وهو (أنَّ نشرَ العلم وتعليمه هو زيادةٌ له)، فيحصل للعالِمِ مِنَ الزِّيادة في العلم ما لم يكن عنده من قبل؛ ذلك أنَّه نشر علمًا فأثمر له عِلْمًا جديدًا؛ كما قال أبو إسحاق الأَلْبِيرِيُّ فِي «تَائِيَتِهِ» المشهورةِ في نصيحةِ ولدِه:

(يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الإِنْفَاقِ مِنْهُ وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفًّا شَدَدْتَا)

فإذا أنفقَ الإنسانُ مِن العلمِ زاده الله عَزَّوَجَلَّ عِلمًا، وإذا قَبَضَ قُبِضَ العلمُ عنه.

إذا فرغْنا مِن بيانِ هذا المعنىٰ؛ فإنَّكم سمعتُم أنَّ فِي الدُّعاء الَّذي دعا به النَّبيُّ

صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**وَبَارِكْ لَنَا فِيمَا أَعْطَيْتَ**»، فعدَّاه النَّبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحرف الجرِّ وهو (اللَّام)، وقد حصَل لِي عارضٌ لطيفٌ فِي هذه اللَّفظة في تصرُّف الشَّرع، فإنَّ الأدعية الَّتي وردتْ في الشَّرع جاءتْ بتعديتِها:

- إمَّا بتعديتها بـ(فِي)؛ كقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ**»، إذْ كان يدعو بذلكَ لمن جاء بالزَّكاة.
- وإمَّا أن تُعَدَّىٰ بـ(اللَّام)، كما فِي هذا الحديث.
- وإمَّا بـ(علىٰ)؛ كما فِي قول: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ**».
- واجتمعا في الدُّعاء للمتزوِّج: «**بَارَكَ اللهُ لكُمَا وبَارَكَ عَلَيْكُمَا**».

[مسألةٌ]: هل جاء في الشَّرْع (بَارَكَكَ اللهُ)؟

[الجواب]: لا نعلمُ شيئًا في الشَّرع جاء بذلك.

وليس هذا هو منتهىٰ العلم، المنتهىٰ: لماذا لم يأتِ هذا في الشَّرْع؟ لماذا يدعو الإنسان: (بارك الله لك)، (بارك فيك)، (بارك عليك)، ويدلُّ هذا علىٰ أنَّ الدُّعاء المشروع هو ما كان هكذا، وأمَّا الدُّعاء بقول: (بَارَكَكَ الله) فهذا هو محلُّ النَّظر.

لأنَّه إذا قال الدَّاعي: (بَارَكَكَ اللهُ)؛ اقتضىٰ أن تكون تلك النَّفسُ نفسًا خَيِّرَةً كثيرة البَركة، وهذا خِلَافُ ما طُبِعَت عليه النَّفسُ؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ٧٢﴾ [الأحزاب]، فلا يمكن أن تكون النَّفس البشريَّة مقتصِرةً علىٰ الخير، بل لا بُدَّ أن يكون فيها الشَّرُّ والخير؛ لأنَّ المعصيةَ تقع فيها، والمعصيةُ من الشَّرِّ، فَلِامتناع وجود هذا قدَرًا؛ امتنع إنشاؤُه دُعاءً.

فهمتم؟! نعيدُ البيان.

نقول: لأَنَّك إذا قلت: (بَارَكَكَ اللهُ)؛ يعني جعل ذاتَك كثيرةَ الخيرِ، فلا يصدرُ عنها إلَّا الخير، ولا يُتصوَّر وجودُ ذاتٍ بشريَّةٍ لا يصدُرُ عنها إلَّا الخير؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لمَّا ذكر أصل البشر قال: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾ [الأحزاب:٧٢]، في آيٍ أُخَر تدلُّ علىٰ أصل هذا، فلمَّا كان هذا ممتنعًا قدرًا امتنع شرعًا بالدُّعاء، بخلاف قولك: (بارك الله فيك)، و(بارك لك)، و(بارك عليك)؛ يعني أوجدَ منك البركةَ الخارجةَ الَّتي هي تفضُّلٌ محضٌ مِن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

ولذلك لا يُشرَعُ أن يدعو الإنسان بقول: (بَارَكَكَ اللهُ)، وإنَّما يقول: (بارك عليك)، أو (بارك فيك)، أو (بارك لك)؛ كما جاء في ذلك الأحاديث.



قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«**وَقِنَا شَرَّ مَا قَضَيْتَ**»: الله عَزَّوَجَلَّ يقضي بالخير ويقضي بالشَّر.

أمَّا قضاؤه بالخير: فهو خيرٌ محْضٌ في القضاء والمَقْضِيِّ.

مثال القضاء بالخير: القضاء للنَّاس بالرِّزق الواسعِ، والأمنِ والطُّمأنينة، والهداية والنَّصرِ.. إلخ. هذا خيرٌ فِي القضاء والمقضيِّ.

القضاء بالشَّر: خيرٌ في القضاءِ، شرٌّ في المقضيِّ.

مثال ذلك: القحط (امتناع المطر)؛ هذا شرٌّ، لكنَّ قضاءَ الله به خيرٌ.

كيف يكون القضاء بالقحط خيرًا؟! لو قال قائلٌ: إنَّ الله يُقدِّر علينا القَحْطَ والجَدْبَ فتموت المواشي، وتفسد الزُّروع، فما وجه الخير؟

نقول: استمع إلىٰ قول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم].

إذًا لهذا القضاء غايةٌ حميدةٌ، وهي الرُّجوع إلىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مِن معصيتِه إلىٰ طاعتِه، فصار المقضيُّ شرًّا والقضاء خيرًا.

وعلىٰ هذا فـ(ما) هنا اسمٌ موصولٌ، والمعنىٰ: قِنَا شرَّ الَّذي قضيت، فإنَّ الله تعالىٰ يقضي بالشرِّ لحكمةٍ بالغةٍ حميدةٍ.

وليست (ما) هنا مصدريَّة؛ أي شرَّ قضائك، لكنَّها اسمٌ موصولٌ بمعنىٰ (الَّذي)؛ لأنَّ قضاء الله ليسَ فيه شرٌّ.

ولهذا قال النَّبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيما أثنىٰ به علىٰ ربِّه: «**وَالخَيْرُ بِيَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ**

إِلَيْكَ»، لهذا لا يُنْسَبُ الشَّرُّ إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ الشَّارِحُ وفّقه الله:

ذَكَر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في هذه الجملة بيانَ دعائِه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في قوله: («وَقِنَا شَرَّ مَا قَضَيْتَ»)، فأخبَر أنَّ الدَّاعي إذا دعا يسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يقيه شرَّ قضاءِه عَزَّوَجَلَّ، و(الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقضي بالخير والشَّرِّ).

وقضاؤه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالخير والشَّرِّ لا يكون موصوفًا بكونه شرًّا في حقِّه، وإنَّما يكون شرًّا باعتبار المفعول الَّذي هو المخلوق، وأمَّا فعلُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإنَّه خيرٌ علىٰ كلِّ حالٍ؛ لأنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ أكمل الصِّفات فاقتضىٰ أن تكون الأفعالُ الصَّادرة منه هي أكمل الأفعال، فقضاءُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يتوجَّهُ إليه الشَّرُّ، وإنَّما يكون الشَّرُّ في المقضيِّ، وهو المفعول - أعني المخلوق - الَّذي خلقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فمثلًا: مِن قضاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إنزال المطرِ، وهذا المقضيُّ الَّذي هو المخلوقُ قد يكون خيرًا إذا ارْتَوَتْ به الأرض، ونبتت الزُّرُوعُ، وامتلأتِ الضُّروع، وقد يكون شرًّا إذا كان مُشْتَمِلًا علىٰ الهَدْمِ والمَحْقِ للدُّورِ والزُّرُوع.

ثُمَّ بيَّن المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى مثالًا زائدًا عمَّا ذكرَه مِن القَحْطِ، وهو قولُه: (استمع إلىٰ قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١]) إلىٰ آخر الآية، فذكر أنَّ قضاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بذوق النَّاسِ بعضَ ما علموا مِن العقوباتِ (له غايةٌ حميدةٌ)، وهي انكفافُهم عن معصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومسارعتُهم للتَّوبة، فجميع قضاء

الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ خيرٌ باعتبار الحِكَمِ الَّتي جُعِلَ لها.

أمَّا المقضيُّ - وهو المفعول المخلوق - فيتوجَّهُ إليه الوصف بالخير والشَّرِّ، ولذلك لا يُضافُ الشَّرُّ إلىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وإن كان هو فاعلُه، بل كما قال النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (**«وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»**)؛ ليس معناه لستَ أنتَ خالقَه؛ بلِ اللهُ خالِقُه، ولكن لا يُضافُ إليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ لأنَّ فِعْلَ القضاءِ الَّذي نتجَ منه الشَّرُّ هو خيرٌ علىٰ كُلِّ حالٍ، فإنَّ قضاءَ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كُلُّه حَكيمٌ.

وقد قال المُصنِّف رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى في بيان هذه الجملةِ: (استمعْ إلىٰ قول الله تعالىٰ)، وهذه التَّركيبُ لا غَضَاضةَ فيه؛ لأنَّ المأمورَ باستماعِه هو الآية.

ويقع مِن بعض الوُعَّاظ قولُهم: (استمعْ إلىٰ الله وهو يقولُ)، وفي استعمالِ هذا التَّركيب نظرٌ؛ لأنَّه يُوهِمُ أنَّ المُتكلِّم حينئذٍ هو الَّذي يُضافُ إليه الكلام، فالأدب أن يُقالَ: (استمعْ إلىٰ قولِ الله عَزَّوَجَلَّ)، إذْ يكونُ الاستماعُ إلىٰ تلك الآيةِ الَّتي قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولا يكونُ الاستماعُ إلىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في ذلك الحِينِ؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ تكلَّم بِهذه الآية فيما سلَفَ فيما أنزلَه علىٰ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.



قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَىٰ عَلَيْكَ**»: الله عَزَّوَجَلَّ يقضِي قضاءً شرعيًّا وقضاءً كونيًّا، فالله تعالىٰ يقضي علىٰ كُلِّ شيءٍ وبكُلِّ شيءٍ؛ لأنَّ له الحكمَ التَّامَّ الشَّاملَ.

«**وَلَا يُقْضَىٰ عَلَيْكَ**»؛ أي لا يقضِي عليه أحدٌ، فالعباد لا يحكمونَ علىٰ الله، والله يحكمُ عليهم، العبادُ يُسألون عمَّا عملوا، وهو لا يُسأل: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء].

«**إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ**»: وهذا كالتَّعليل لقولنا فيما سبق: «**وَتَولَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ**»، فإذا تولَّىٰ اللهُ الإنسانَ فإنَّه لا يذِلُّ، وإذا عادىٰ اللهُ الإنسانَ فإنَّه لا يعزُّ.

ومُقتضىٰ ذلك أنَّنا نطلب العِزَّ من الله سبحانه، ونتَّقي من الذُّلِّ بالله عَزَّوَجَلَّ، فلا يُمكن أن يَذِلَّ أحدٌ والله تعالىٰ ولِيُّه، فالمُهمُّ هو تحقيق هذه الولاية.

وبماذا تكون هذه الولاية؟

هذه الولاية تكون بوصفين بيَّنهما الله عَزَّوَجَلَّ في كتابِه، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس]، وصفاتُ أَحدهمَا في القلب، والثَّاني في الجوارح، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في القلب، ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ هذه في الجوارح، فإذا صلح القلب والجوارح نال الإنسانُ الوِلايةَ بِهذين الوصفين.

وليستِ الوِلاية فيمن يدَّعيها مِن أولئك القوم الَّذين يسلكون طرق الرُّهبان، وأهل البدع الَّذين يبتدِعُون في شرع الله ما ليس منه ويقولون: نحن الأولياء، فوَلاية الله عَزَّوَجَلَّ الَّتي بِها العِزُّ هي مجموعةٌ في هذين الوصفين: الإيمان، والتَّقوىٰ.

قال شيخ الإسلام ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أخذًا من هـذه الآيـة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [يونس]: (من كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا)، وصدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأنَّ هذا الَّذي دلَّ عليه القرآن.

«**وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ**»: يعني أنَّ مَن كان عدوًّا لله فإنَّه لا يَعِزُّ، بل حالُهُ الذُّلُّ والخُسْرانُ والفَشَل، قال الله تعالىٰ: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [البقرة]، فكُلُّ الكافرين في ذُلٍّ وهم أذلَّةٌ.

ولهذا لو كان عند المسلمين عِزُّ الإسلام وعِزُّ الدِّين وعِزُّ الولاية؛ لم يكن هؤلاء الكُفَّار علىٰ هذا الوضع الَّذي نحن فيه الآن، حتىٰ إنَّا ننظرُ إليهم مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ، ننظر إليهم مِن طريق الذُّلِّ لنا والعِزِّ لهم؛ لأنَّ أكثر المسلمين اليوم مع الأسف لم يعتزُّوا بدينهم، ولم يأخذوا بتعاليم الدِّين، وركَنُوا إلىٰ مادَّة الدُّنيا وزخارفها؛ ولهذا أُصيبوا بالذُّلِّ، فصار الكفَّار في نفوسهم أعزَّ منهم، لكنَّنا نؤمن أنَّ الكفَّار أعداءُ الله، وأنَّ الله كتب الذُّلَّ علىٰ كُلِّ عدوٍّ له، قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المجادلة]، وهذا خبرٌ مُؤكَّدٌ، ثُمَّ قال: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [المجادلة]، فمن عادىٰ الله عَزَّوَجَلَّ فهو ذليلٌ لا يمكن أن يكون عزيزًا إلَّا في نظرِ مَن لا يرىٰ العِزَّة إلَّا في مثل ما كان عليه هذا الكافر، وأمَّا مَن نظر أنَّ العِزَّة لا تكون إلَّا بولاية الله عَزَّوَجَلَّ والاستقامة علىٰ دينه فإنَّه لا يرىٰ هؤلاء إلاَّ أَذَلَّ خلق الله.

«**تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ**»: هذا ثناءٌ علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بأمرين:

أَحَدُهُمَا: التَّبارك، والتَّاء للمبالغة؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ هو أهل البركة، «**تَبَارَكْتَ**»؛ أي كثُرَتْ خيراتُك وعمَّت ووسعتِ الخلق؛ لأنَّ البركة كما قلنا فيما سبق هي الخير الكثير

الدَّائم.

وقوله: «رَبَّنَا»؛ أي يا ربَّنا، فهو مُنادًىٰ حُذِفَت منه ياءُ النِّداء.

وقوله: «وَتَعَالَيْتَ» مِن العلوِّ الذَّاتِيِّ والوصفيِّ، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عليٌّ بذاته وعليٌّ بصفاته.

عليٌّ بذاته فوق جميع الخلق، وعلوُّه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وصفٌ ذاتِيٌّ أزليٌّ أبديٌّ، أمَّا استواؤه علىٰ العرش فإنَّه وصف فِعْلِيٌّ يتعلَّق بمشيئته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والعرشُ هو أعلىٰ المخلوقات، وعليه استوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ يعني علا عليه عُلُوًّا يليق بجلاله وعظمته، لا نُكَيِّفُه ولا نُمثِّله، وهذا العلوُّ أجمع عليه السَّلف الصَّالح؛ لدلالةِ القرآن والسُّنَّة والعقل والفطرة علىٰ ذلك.

وأمَّا العلوُّ الوصفيُّ فمعناه أنَّ الله له من صفات الكمال أعلاها وأتمُّهَا، وأنَّه لا يمكن أن يكون في صفاته نقصٌ بوجهٍ مِنَ الوجوه.

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

لمَّا فرغ النَّبيُّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِن تعليم الحَسَن ما يدعو به، ختم ذلك بالتَّوسُّل إلىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بجملةٍ مِن صفاته، وذلك فِي قوله: («**إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَىٰ عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ**»)، فكُلُّ هذه الجُمَل هي توسُّلٌ إلىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في قَبُول ذلك الدُّعاء.

ويجوز أن يكون التَّوسُّل بِها مُتعلِّقًا بالجملة الأخيرة في الدُّعاء في قوله: («**وَقِنَا شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَىٰ عَلَيْكَ**»).

ويجوز - وهو أكمل - أن يكونَ التَّوسُّل مُتعلِّقًا بالجُمَل جميعِها، فيكونُ هذا الدُّعاء قدِ اشتملَ علىٰ سؤالٍ وطلَبٍ في أوَّلِه، واشتمل علىٰ توسُّلٍ وثناءٍ في آخِرِه، وهذا أكملُ.

وقد توسَّل الدَّاعي إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بجملةٍ مِن أوصافِه عَزَّوَجَلَّ، فقال: («إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَىٰ عَلَيْكَ»)، يعني أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الَّذي بيده القضاء؛ لأنَّ الحكم كُلُّه له؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف:٤٠]، ولا يقضي علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أحدٌ مِن خلقه؛ لأنَّ الخلقَ لا مُلْكَ بأيديهم.

ثُمَّ توسَّل إليه بقوله: («إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ»)، وهذا توسُّلٌ إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِهذه الصِّفةِ؛ وهو أنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُعِزُّ أوليائِه ومُذِلُّ أعدائه، فمن أعزَّه الله لم يُذِلَّه أحدٌ، ومَن أذلَّه الله لم يُعِزَّه أحدٌ.

ولا يحصلُ للعبد عِزَّةٌ إلَّا بتحقُّقِ وِلايةِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له، فإذا كان الله وليَّكَ ومعك فإنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُعِزُّك وناصِرُك، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾ [المنافقون].

وهذه الولاية إنَّما تتحقَّقُ بأوصافٍ، أكملُها المذكور في قوله تعالىٰ: (﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ [يونس])، ثُمَّ قال: (﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ [يونس])، فبالإيمان والتَّقوىٰ تَتَحقَّقُ ولاية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في ذلك العبد المُتقيِّ المُؤمن، فيكون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ناصرُه.

وأمَّا مَن عادىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإنَّه مُذَلٌّ غيرُ عزيزٍ، كما قال في توسُّله: («وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ»)، فمن كان عدوًّا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يُذِلُّه ويجعلُه في الأذلِّين؛ كما قال تعالىٰ: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ٢٠﴾ [المجادلة]).

ثُمَّ ختم توسُّلَه بقوله: («تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»)، والمعنىٰ: كَثُرت خيراتُك الَّتي تَصِلُ إلىٰ خلقك وعمَّتْهُم ووسعتْهم جميعًا، فإذا قال الدَّاعي: («تَبَارَكْتَ رَبَّنَا»)؛ يعني زادت بَرَكَتُكَ وكَثُرَتْ.

وقولُه: («رَبَّنَا») ذكر الشَّارحُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ أنَّ تقديرَها: (يا ربَّنا)، والأصلُ في الدُّعاء المعهود بالقُرْآن الكريم والسُّنَّة أنَّ العبدَ إذا دعا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِهذا الاسم العظيم (الرَّبِّ) فإنَّه لا يُقدِّم بين يديه (يا)؛ فلا يقولُ: (يا ربَّنا اغفِرْ لنا)، بل يقولُ: (ربَّنا اغفِرْ لنا).

وإذا تأمَّلتَ دُعاءَ الأنبياءِ وجدتَّهُ كذلك.

وقد ذكر الشَّاطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في «المُوافَقَاتِ» نُكتةً لطيفةً في كون الدَّاعي إذا دعا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ باسم (الرَّبِّ) لا يذكر حرفَ النِّداء – وهو (يا) – مع كونِه مُقدَّرًا لُغةً، **وذلك لشيئين اثنين:**

* **أَحَدُهُمَا**: مُلاحظةُ تقديم اسمِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بحيثُ لا يتقدَّمُهُ شيءٌ؛ فإنَّك إذا قُلتَ: (ربِّ اغفر لي) قدَّمْتَ اسمَه، وإذا قُلتَ: (يا ربِّ اغفر لي) قدَّمْتَ أداة النِّداء عليه.

* **وثانيهما**: أنَّ أداةَ النِّداء (يا) موضوعةٌ لنداء البعيد، واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قريبٌ غيرُ بعيدٍ، فهو غيرُ مُحْتاجٍ إلىٰ مُنادَاتِه بِهذه الآلة الَّتي اصطلح عليها أهْلُ اللِّسان، ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ في هذا الموضع: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة:١٨٦].

فهذه نُكتةٌ لطيفةٌ مبنيَّةٌ علىٰ هذين المعنيين، كما ذكر الشَّاطبي في كتاب

«المُوافقَات».

وقـد أورد علـيَّ أحـدُ الإخـوة قـولَ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان].

والجواب عنه: أنَّه ليس بدعاءٍ، وإنَّما هو خبرٌ.

ثمَّ بيَّن المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ معنىٰ قوله: («**وَتَعَالَيْتَ**») بأنَّه إخبارٌ عن عُلوِّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الذَّاتيِّ والوصفيِّ، وهذا طريقةُ بعض أهل العلم، **وهو الصَّحيح؛ أنَّ عُلُوَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ينقسم إلىٰ قسمين**:

- **أَحَدُهُمَا**: عُلوُّ ذاتٍ.
- **والثَّاني**: عُلوُّ صفاتٍ.

وأشرْنا إلىٰ ذلك بقولنا:

عُلُـــوُّ رَبِّـــنَا لَـدَىٰ الثِّقَــاتِ   عُلُـــوُّ ذَاتِـــهِ مَـــعَ الصِّفَـــاتِ

وأمَّا الَّذين يقولون أنَّ هناك قسمًا ثالثًا وهو عُلوُّ القهر؛ فيُجَابُ عنهم بأنَّ عُلُوَّ القهر مردودٌ إلىٰ علوِّ الصِّفات، ولذلك قُلْنا:

أَمَّـــا عُلُـــوُّ قَهْــرِهِ فَـرُدُّوا   لِسَابِـــقٍ إِذْ مِنْـــهُ يُسْتَمَـــــدُّ

يعني لِعُلُوِّ الصِّفات.



قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي دعاء القنوت جملةٌ يكثُر السُّؤال عنها ممَّا يدعو به أئمَّتُنا في قنوتِهم، يقولُون: «هَبِ المُسِيئِينَ مِنَّا لِلمُحْسِنِينَ»، فما معناها؟

أقربُ الأقوال فيها أنَّها مِن باب الشَّفاعة، يعني أنَّ هذا الجَمْعَ الكبيرَ فيهم المسيءُ، وفيهم المحسنُ، فاجعلِ المسيءَ هديَّةً للمحسِنِ بشفاعتِهِ له؛ فكأنَّه قيل: وشَفِّع المحسنين مِنَّا في المُسِيئين.

تَمَّ بحمدِ الله وتوفيقه.

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعه إلىٰ يوم الدِّين.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

ختم المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ هذا الشَّرح النَّفيسَ ببيانِ جملةٍ يدعوا بِها النَّاس كثيرًا في دعاء القنوت خاصَّةً، وهي: (هَبِ المُسِيئِينَ مِنَّا لِلمُحْسِنِينَ)؛ فبيَّن أنَّ المرادَ بِها سُؤالُ الشَّفاعةِ، بأن يقبلَ الله شفاعةَ الصَّالحين بدعائهم مِن الحضور فِي المسيئين الحاضرين لذلك الدُّعاء، وهذا مِن الأدعية الَّتي يتناقَلُها النَّاس.

وأدعيةُ القنوتِ الَّتي يدعوا بِها النَّاس فِي رمضانَ خاصَّةً ألفاظُها تنقسم إلىٰ أربعة أقسامٍ:

* **القسم الأوَّلُ: أدعيةٌ مأثُورَةٌ**؛ وهي البَركة التَّامَّة؛ بأن يدعو الإنسانُ بما جاء في القرآن والسُّنَّة، ولا أجمعَ ولا ألطفَ ولا أنفعَ مِن دعاءٍ واردٍ في الوحي.

* **والقسم الثَّانِي: أدعيةٌ جائِزةٌ**؛ كأن يدعو الدَّاعي بشيءٍ مِن مُرادَاتِ النَّاس بلفظٍ لا محظورَ فيه ولا محذورَ منه، فيدعو بقولِه مثلًا: (اللَّهُمَّ آمِنَّا في دُورِنَا، وأصلِحْ أئمَّتنا ووُلاة أُمُورِنَا)، فهذا دعاءٌ جائزٌ.

* **والقسم الثَّالث: أدعيةٌ محذورةٌ**؛ وهي الأدعيةُ الَّتي تكون بمعنًىٰ باطلٍ ومعنًىٰ حقٍّ، فيكون فيها من الإجمال ما يُوجِبُ إهمَالَهَا والحَذَرَ منها.

ولو قالها الإنسانُ وقصد المعنىٰ الصَّحيح كان دعاؤُه صحيحًا.

ومِن هذه الأدعية المحذورةِ: إيقاعُ الأفعال في غير مواقعِها؛ فإنِّي قد صلَّيتُ خلفَ إمامٍ فدعا في قنوتِه فقال: (اللَّهُمَّ اقْذِفِ الإيمانَ في قُلُوبِنا)، وهذا خلافُ طريقة الشَّرْع؛ فإنَّ (القذْفَ) فِي الخطابِ القُرْآنِيِّ والنَّبويِّ لا يكون إلَّا فيما هو شديدٌ، والإيمان لطيفٌ، ولذلك لا يصلُح أن يكون مقذوفًا، ولهذا جاء قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة الحجرات: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الحجرات:٧]، فيدعو الإنسان بقوله: (اللَّهُمَّ حبِّبِ إلينا الإيمانَ وزيِّنه في قلوبنا)، وأمَّا بقوله: (اقذف)؛ فهذا خلاف الشَّرع، فالدُّعاءُ هذا محذورٌ.

* **وأمَّا القسم الرَّابع: فهو الأدعية المحظورة**؛ يعني الممنوعة، وهي الأدعيةُ الَّتي تشتمل علىٰ معنًىٰ باطلٍ ليس غيرُ؛ كقولِ الدَّاعين: (يا مَنْ لا يصِفُه الواصفون، ولا تراه العيون)؛ فإنَّ هذا دعاءٌ باطلٌ؛ لأنَّ الله وصف نفسهُ ووصفه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكيف يُقال: (لا يصفه الواصفون)؟!

ثُمَّ إنَّ قول القائل: (لا تراه العيون) باطلٌ؛ لأنَّ عقيدة أهل السُّنَّة أنَّ رؤية الله في الآخرة تكون عِيانًا بأعين الرَّأس.

وفي المأثور بركةٌ كثيرةٌ وغُنيَةٌ عن تتبُّعِ مثل هذه الألفاظ.

وهذا آخر التَّقرير علىٰ هذا الدَّرس.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ عبده ورسوله محمَّدٍ وآله وصحبه أجمعين.

تَمَّ إقراء الكتاب فِي مَجلسٍ وَاحِدٍ
بعد صلاة المغرب ليلة السَّبتِ التَّاسع من جمادى الآخرة
سَنَةَ ثمانٍ وعشرين بَعْدَ الأَرْبَعِمِائَةِ وَالأَلْفِ
فِي جامع الإيمان بحي النّسيم بِمَدِينَةِ الرِّياض



فَوَائِد

فَوَائِد

فَوَائِد

فَوَائِد